

المجتمع المدني والتربية الإعلامية في الجزائر

الدكتور منير صوالحية

أستاذ محاضر بجامعة الشيخ العربي التبسي

ملخص:

في خضم البيئة الإعلامية التي تشكلت مع الثورة الرقمية وتيار العولمة، أصبح شكل المجتمع يتحدد من خلال وسائل الإعلام و الإتصال التي يستخدمها أفراد المجتمع فيما بينهم، والتي تدفع المجتمع الواقعي نحو المجتمع الافتراضي، فتحوّلت الحياة إلى مشهدا مرثيا، تُوْطره المضامين الإعلامية بسلبياتها و ايجابياتها، مما يقتضي حماية هذه المضامين الإعلامية من خلال التربية الإعلامية التي تعد عاملا فعلا و جزء من الحقوق الأساسية لكل مواطن. هذه الحقوق التي تقوم الجمعيات المدنية غير الحكومية بالدفاع عنها، خصوصا فيما يتعلق بحماية القيم والآداب العامة. لذلك تأتي هذه المداخل لإبراز دور مؤسسات المجتمع المدني في تفعيل نموذج التربية الإعلامية كحل لحماية الأفراد من التأثيرات السلبية لمضامين وسائل الإعلام، فمؤسسات المجتمع المدني هي المراقب للمضمون الإعلامي، ولها دور مهم في بناء الوعي وتكوين رؤية تربوية إعلامية ناضجة، كما تقوم بتوعية أفراد المجتمع بمخاطر الإعلام السلبي، وبمتابعة مدى التزام وسائل الإعلام بالأنظمة والقوانين وأخلاقيات الإعلام.

الكلمات المفتاحية: التربية الإعلامية، المضامين الإعلامية، المجتمع المدني.

Civil society and media education in Algeria

Dr. Soualhia mounir

Summary : This presentation comes to clarify the role of civil society institutions in the activation of media education model as a solution to protect individuals from the negative effects of the contents of the media

Keywords : Education Media, Media content, Civil society

مقدمة:

لقد تمكنت التكنولوجيا الرقمية من التأثير في المجتمعات، وأصبحت الرسالة الإعلامية متغيرا هاما في صياغة وعي الجمهور ومواقفهم تجاه القضايا التي تعرضها وسائل الإعلام، وتتعدد وتنوع الرسائل الإعلامية وتتشكل بأشكال تتناسب مع تطور وسائل الإعلام والاتصال، مثل هذا التنوع الهائل لمصادر المعلومات والتطور التقني للوسيلة الإعلامية وقدرتها على تخطي حدود الزمان والمكان أسفر عن العديد من المفاهيم الإعلامية، كعصر المعلومات والعصر الرقمي، وتحول الجمهور من متلقي إلى مستخدم ومنتج للرسالة الإعلامية، وتحول وتغير المجتمع تبعاً لذلك فأصبحت العلاقات الاجتماعية على شكل جديد، لا يسمح بالتواجد الاجتماعي المباشر، وظهر مصطلح جديد لهذا التواجد وهو المجتمع الافتراضي وأصبح هناك اتصال تبادلي من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة، فالكثير من المواطنين يعانون الأمية الرقمية غير مدركين التحديات الكبيرة للعصر الرقمي. عصر تهيمن عليه الصناعات الثقافية والإعلامية الغربية من خلال شركات عابرة للقارات عملاقة وضخمة تتوفر على إمكانيات هائلة. هذا العصر- تحكمه القوى العظمى وتسيطر على صناعة الصورة فيه الشركات الإعلامية والثقافية المتعددة الجنسيات.

لمج مفهوم المجتمع المدني:

رغم ما بات يتمتع به مفهوم "المجتمع المدني" من رواج في الخطاب الفكري والسياسي العربي، إلا أنه لا يزال يمتلك معاني ودلالات مختلفة من قبل مستخدميه، ولقد نتج عن هذه الاختلافات في تحديد مفهوم المجتمع المدني والمؤسسات التي تندرج في إطاره عدة تعاريف، اعتمدت على معايير مختلفة في تحديد مفهوم المجتمع المدني، مثل طبيعة العضوية، مدى استقلاليته عن الدولة، مجال عملها واهتمامها. وجاء تعريف للمجتمع المدني، في ندوة المجتمع المدني التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية عام 1992، على أنه "يقصد به المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة، في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة، منها أغراض سياسية كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني والقومي، ومثال ذلك الأحزاب السياسية، ومنها أغراض نقابية كالدفاع عن مصالح أعضائها، ومنها أغراض ثقافية كما في اتحادات الكتاب والمثقفين والجمعيات الثقافية التي

تهدف إلى نشر الوعي الثقافي وفقاً لاتجاهات أعضاء كل جماعة، ومنها أغراض للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية¹.

ويرى "ريمون هينيوش" المجتمع المدني بأنه: "في إطار كونه تعبيراً أساسياً في الانتقال التعددي المستقر فإن المجتمع المدني الحيوي يتمثل في "شبكة الاتحادات الطوعية التكوينية والتي تبدو مستقلة عن الدولة والجماعات الأولية ولكنها في الوقت الذي تعمل فيه على احتواء الانقسامات الاجتماعية وتشكيل منطقة عازلة بين الدولة والمجتمع فإنها تعمل على ربطها بالدولة وسلطتها"².

كما يعرف "سعد الدين إبراهيم المجتمع المدني" بأنه: "مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة، التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والخلاف"³.

وتتضمن تنظيمات المجتمع المدني كلا من الجمعيات والروابط والنقابات والأحزاب والأندية والتعاونيات، أي كل ما هو غير حكومي وكل ما هو غير عائلي أو إرثي (من الوراثة)، ومن خلال التعاريف السابقة نستنتج أن المجتمع المدني هو عبارة عن تنظيم طوعي مستقل عن السلطة والمجتمع، يسعى إلى تحقيق مصالح أفرادهِ. ويشمل المجتمع المدني على عدد كبير من المنظمات الرسمية وغير الرسمية مثل: جماعات اقتصادية (اتحادات وشبكات منتجة وتجارية)، جماعات ثقافية (مؤسسات واتحادات دينية ومجتمعية وغيرها تدافع عن الحقوق والقيم والمعتقدات والرموز الجماعية)، جماعات قائمة على أساس المصالح (مصممة للدفاع عن المصالح الوظيفية والمادية المشتركة)، جماعات تنموية (منظمات تجمع الموارد الفردية لتحسين البنى التحتية والمؤسسات ونوعية الحياة في المجتمع)، جماعات الدفاع عن القضايا (حركات لحماية البيئة من التلوث وحقوق المرأة وإصلاح الأراضي وحماية المستهلك)، جماعات

¹ - خليل احمد العيد فهيمه: الأدوار التكاملية لمختلف هيئات المجتمع المدني، ورقة عمل مقدمة في إطار مؤتمر التوافق السنوي الثالث المنعقد بالكويت ما بين 11/10 أبريل 2006، ص10، نقلاً عن وكالة الأنباء الكويتية، منظمات المجتمع المدني في دولة الكويت، مركز المعلومات والأبحاث، نوفمبر 2005، ص11.

² - الفالح متروك: المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدينة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2002، ص27.

³ - علي توريدي محمد: المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الصومال، القاهرة: مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، 1995، ص5.

أهلية (تسعى إلى تحسين النظام السياسي وجعله أكثر ديمقراطية من خلال مراقبة الحقوق المدنية وتوعية الناخبين وتعبئتهم وجهود محاربة الفساد وهكذا)، إضافة إلى ذلك يضم المجتمع المدني ما يمكن تسميته "الساحة الأيديولوجية" والتي لا تشمل الإعلام المستقل فحسب، بل أيضا المؤسسات المرتبطة بمجال الثقافة المستقلة والجامعات التي تعني بالشأن الفكري ومراكز البحوث ودور النشر والمسارح وشركات إنتاج الأفلام والشبكات الفنية.

2- مفهوم التربية الإعلامية:

التربية الإعلامية تختص بتعليم أفراد الجمهور مهارة التعامل مع الإعلام، وذلك لأن الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة أصبحت هي الموجه الأكبر، والسلطة المؤثرة، على القيم والمعتقدات والتوجهات والممارسات، في مختلف الجوانب، اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا. وتعرف بأنها قدرة الأفراد على الاستخدام الواعي لوسائل الإعلام، من فهم وتحليل ونقد وتقييم وتقويم المضامين الإعلامية بأشكالها المتنوعة، والمساهمة في تطوير إدراكهم ومشاركتهم في إنتاج مضامين إعلامية مسئولة وتخزينها.

ظهر مفهوم التربية الإعلامية في العالم في أواخر الستينات من القرن الماضي، حيث ركز الخبراء على إمكانية استخدام أدوات الاتصال ووسائل الإعلام لتحقيق منافع تربوية ملموسة، كوسيلة تعليمية. وفي السنوات الأخيرة تطور مفهوم التربية الإعلامية بحيث لم يعد مشروع دفاع فحسب بل مشروع تمكين أيضا، يهدف إلى إعداد الشباب لفهم الثقافة الإعلامية التي تحيط بهم، وحسن الإنتقاء والتعامل معها، والمشاركة فيها بصورة فعالة ومؤثرة¹.

3- أهمية التربية الإعلامية:

تمكن التربية الإعلامية أفراد المجتمع من الوصول إلى فهم لوسائل الإعلام الإتصالية التي تستخدم في مجتمعهم، والطريقة التي تعمل بها هذه الوسائل، ومن ثم تمكنهم من اكتساب المهارات في استخدام وسائل الإعلام للتفاهم مع الآخرين. ونستطيع أن نعرض أهمية التربية الإعلامية في النقاط التالية²:

- القدرة على فهم الوسائل الإعلامية وتفسيرها، واكتشاف ما تحمله مضامينها من قيم.
- القدرة على تقديم آراء نقدية للمضامين الإعلامية.

¹ - فهد عبد الرحمان الشميمري: التربية الإعلامية، كيف نتعامل مع الإعلام، الرياض، 2010، ص19

² - نفس المرجع، ص20

- القدرة على الإختيار الواعي لوسائل الإعلام والمضامين الإعلامية.
- القدرة على التواصل مع وسائل الإعلام للتعبير عن الرأي.
- القدرة على إنتاج المضامين الإعلامية وإيصالها إلى الجمهور المستهدف.
- القدرة على توجيه الأسرة للاستفادة المثلى من وسائل الترفيه والتقنية الحديثة.

4. دور مؤسسات المجتمع المدني في التربية الإعلامية:

المؤسسة الإعلامية تعد أقوى مؤسسات المجتمع تأثيراً على الفرد والمجتمع، وهو ما يحتم عليها أن تكون متفقة مع القواعد والمعايير الأخلاقية، وأن ينعكس ذلك فيما تقدمه من مضامين. والكم الهائل من هذه المضامين جعلت الأفراد مستهلكين لها، وجعلتهم غير قادرين على التحقق من صحتها، وقبول الرأي الذي تتبناه وسائل الإعلام رغم أنه قد يكون مضللاً أو خاطئاً. كما تشكل وسائل الإتصال والتدفق الحر للمعلومات أهم منتجات الثقافة المعاصرة التي تعتمد الوسائط البصرية والصور التي يتم بثها لنشر وسائل وبرامج مقصودة وموجهة أيديولوجياً (وهنا الثقافة والمعرفة في خدمة الأيديولوجية وهي إحدى ظواهر العولمة)¹. فإن الممارسة الإعلامية هي نتاج رؤية أيديولوجية، تتجسد صورها في المنتج الإعلامي عبر وسائل الإعلام المختلفة². قد تكون هذه الأيديولوجيا معززة للثقافة السائدة في المجتمع أو مناقضة لها. وإذا تهيأ لهذه الأيديولوجيا الإعلامية وسائل تقنية عالية الكفاءة وبالغة الأثر فإنها تتحول إلى أداة فاعلة في الهيمنة والإقناع. وكل يوم نشهد فيه تطوراً تقنياً في وسائل الإتصال يصاحبه تكريس واضح للأيديولوجيا التي تهيمن على هذه التقنية الإتصالية³.

لا يتفق الباحثون على إطار تصنيفي للتأثيرات الخاصة بوسائل الإعلام فيقسمها البعض إلى تأثيرات ظاهرة وأخرى كامنة ويقسمها آخرون إلى تأثيرات عمدية (كزيادة المعلومات مثلاً) أو تأثيرات غير عمدية (مثل إمكانية زيادة عدوانية الأطفال عند مشاهدتهم لأفلام العنف مثلاً)⁴. وقد سمحت للجيل الجديد المستخدم لوسائل الإعلام بسهولة الإنفلات من السياق القيمي

¹ - خالد محمد غازي: الطوفان.. ما بعد العولمة، صناعة الإعلام وتحول السطة، ص14

² - محمد بن سعود البشر: أيديولوجيا الإعلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2، 2016، ص23

³ - نفس المرجع، ص80

⁴ - منال أبو الحسن: أساسيات علم الإجتماع الإعلامي، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2007، ص117

والأخلاقي، مما قلل من قدرة الدولة على السيطرة على الرسالة الإعلامية، بعدما ضعفت الرقابة الأبوية على الإستخدام.

تؤثر وسائل الإعلام في الجمهور بطريقة مبرمجة أطلق عليها خبراء الدعاية مصطلح " هندسة الجمهور"¹، ولأن الإعلام لم يعد أداة لنقل صورة المجتمع وأحداثه فحسب، بل أصبح أداة لتوجيهه والسيطرة عليه من خلال ثقافة الصورة والمشهد وصناعة الخبر. حيث يرى "مارشال ماكلوهان" أن كل تغيير يصيب المجتمعات في الحقب الزمنية على مر التاريخ يرجع إلى شكل وسيلة الإعلام والاتصال التي تربط أفراد المجتمع بما حولهم. ويقول أيضاً: فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية الموضوعات، تؤثر بشكل كبير في طريقة تفكير المجتمع المتلقي لها، ومن الممكن أن تعيد تشكيله. ولأن وسائل الإعلام بإمكانها السيطرة على المجتمع، فإن "ماكلوهان" يؤكد على أهمية إحاطة الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الإعلام.²

في عالم متعولم تسيطر عليه الصناعات الثقافية والإعلامية الغربية بات من الضروري أن تفكر مؤسسات المجتمع المدني في استغلال الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والوسائل التي تستحوذ على أوقات المشاهدة والاستماع والقراءة ومختلف أشكال التواصل عند الإنسان. وفي ظل العصر- الرقمي أصبح نشاط مؤسسات المجتمع المدني مقترن بعالم الأنترنت والفضاء الافتراضي، ومرتادو شبكات التواصل الاجتماعي هم اللبنة الأولى في بناء مؤسسات المجتمع المدني. فنحن نشهد تطور منظومة اجتماعية جديدة تكون وسائل التواصل الاجتماعي أحد أهم مرتكزاتها، بل إنها تمضي بإتجاه تشكيل "عصبية افتراضية" لها مفرداتها وثقافتها³. وفي ظل ذلك أصبحنا في عصر مجتمعات مؤسسات المجتمع المدني الافتراضية والحكومات الذكية، وإعلان ولادة عصر- المجتمع المدني الذكي ومؤسساته التفاعلية عن بعد، ووفقا لجيمس مارتن، المعروف بأنه "مرشد عصر المعلومات" تقف البشرية عند نقطة انعطاف حاسمة، فنحن كنوع نواجه تحولا عميقا. وفريدا في تاريخ البشرية، ونسافر بسرعة خطيرة جدا إلى عصر الحدود القصوى⁴. فمن خلال

¹- أحمد فهمي: هندسة الجمهور، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، 2015

²- محمد علي فرح : صناعة الواقع، الإعلام وضبط المجتمع، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014، ص213

³- جمال سند السويدي : وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية، من القبيلة إلى الفيسبوك،

ط4، 2014، ص12

⁴- أنظر إلى: جيمس مارتن: معنى القرن الحادي والعشرين، ترجمة أحمد رمو، الهيئة العامة السورية للكتاب،

دمشق، 2011

الأنترنت ووسائل الإعلام والاتصال الحديثة صار أغلب العلاقات السياسية والاجتماعية في العالم الافتراضي، في معظمها، تجمعات خفية، مجهولة الهوية، إلا في القليل النادر منها. فالممارسة في الفضاء الافتراضي تختلف عن الممارسة في الفضاء الاجتماعي الواقعي، كذلك الشأن بالنسبة إلى المجتمع المدني في الفضاء الافتراضي يختلف عن المجتمع المدني في الفضاء الاجتماعي الواقعي. حيث يشهد اليوم الفضاء الافتراضي للفرد المدني، والفضاء الفكري والمعلوماتي عموما، عمليات سطو فكري وسياسي رهيب، مما يستدعي توفر سبل حماية الفضاء الافتراضي أخلاقيا وثقافيا، زيادة على حمايته قانونيا. ولكن لا تؤثر بنفس الحدة على المجموعات والمجتمعات المدنية، وذلك لأن أغلب الأفراد يكونون أرائهم تحت تأثير آراء قيادات هذه الجماعات والتنظيمات المدنية، حيث "تشير الدراسات إلى أن أغلبية أفراد الجمهور المستهدف لا يحصلون على معلوماتهم من وسائل الإعلام مباشرة وإنما يحصلون عليها من خلال اتصالهم بقيادة الرأي في الجماعات التي ينتمون إليها من خلال الاتصال الشخصي- بهم، (...) وأن قادة الرأي يمثلون عنصرا مهما في عملية الاتصال الشخصي- ويلعبون دور الوسيط بين الأفراد ووسائل الإعلام"¹. في هذا الإطار ضروري أن يكون لمؤسسات المجتمع المدني في الجزائر دور في تفعيل نموذج التربية الإعلامية، من خلال إكساب الأفراد والأعضاء وعي لتمحيص ما تقدمه وسائل الإعلام من مضامين. وكذلك حماية المنتمين لهذه المؤسسات من التأثيرات السلبية لمضامين وسائل الإعلام، فمؤسسات المجتمع المدني هي المراقب للمضمون الإعلامي، ولها دور مهم في بناء الوعي وتكوين رؤية تربوية إعلامية ناضجة، من خلال الأنشطة أو التواصل بين الأعضاء والمنخرطين، كما تقوم بتوعية أفراد المجتمع بمخاطر الإعلام السلبي، وبمتابعة مدى التزام وسائل الإعلام بالأنظمة والقوانين وأخلاقيات الإعلام، عن طريق الندوات والتظاهرات والمشاركة في الفضاءات الإعلامية التابعة لها أو الفضاء الافتراضي المفتوح أمام جميع أفراد المجتمع الجزائري، وبإمكان مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر التضامن والتعاون للتصدي للتأثيرات السلبية لمضامين وسائل الإعلام.

الخاتمة:

التربية الإعلامية أصبحت اليوم واقعا معيشيا ولها أثرها الواسع في حياة المجتمعات، ووثائق أنشطة اليونسكو تعد التربية الإعلامية جزءا من الحقوق الأساسية لكل مواطن، في كل من بلدان العالم، وتوصي بضرورة إدخال التربية الإعلامية ضمن المناهج التربوية الوطنية، وضمن أنظمة التعليم غير الرسمية، والتعلم مدى الحياة. وبإمكان مؤسسات المجتمع المدني استخدام الشبكة العنكبوتية في التربية الإعلامية، فالأنترنت اليوم، أصبح من غير منازع وسيلة العصر- في زمن أصبحت فيه الوسيلة هي الرسالة، لكن التعامل مع الأنترنت يتطلب كذلك مهنية

¹ - منال أبو الحسن: نفس المرجع، ص 74

وتنسيق للجهود حتى يتم تحقيق الأهداف المنشودة. ضرورة التعاون بين مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر في موضوع التربية الإعلامية، لأن المسألة تهم جميع الجزائريين، إلى جانب تطوير معارفنا بالمعلوماتية في مختلف مجالات الحياة اليومية والعلمية.

قائمة المراجع:

- 1- أولريش بيك: مجتمع المخاطر العالمي، ترجمة علا عادل وآخرين، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013
- 2- أحمد فهمي: هندسة الجمهور، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، 2015
- 3- الفالح متروك: المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تعريف المدينة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2002.
- 4 - جمال سند السويدي : وسائل التواصل الإجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية، من القبيلة إلى الفيسبوك، ط4، 2014.
- 5- جيمس مارتن: معنى القرن الحادي والعشرين، ترجمة أحمد رمو، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011
- 6 - خالد محمد غازي: الطوفان.. ما بعد العولمة، صناعة الإعلام وتحول السطة.
- 7- خليل احمد العيد فهيمه: الأدوار التكاملية لمختلف هيئات المجتمع المدني، ورقة عمل مقدمة في إطار مؤتمر التوافق السنوي الثالث المنعقد بالكويت ما بين 10/11 أبريل 2006، ص10، نقلا عن وكالة الأنباء الكويتية، منظمات المجتمع المدني في دولة الكويت، مركز المعلومات والأبحاث، نوفمبر، 2005.
- 8- محمد علي توريدي: المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الصومال، القاهرة، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، 1995.
- 9- فهد عبد الرحمان الشميمري: التربية الإعلامية، كيف نتعامل مع الإعلام، الرياض، 2010.
- 10- منال أبو الحسن: أساسيات علم الإجتماع الإعلامي، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2007.
- 11- محمد بن سعود البشر: أيديولوجيا الإعلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2، 2016.
- 12- محمد علي فرح : صناعة الواقع، الإعلام وضبط المجتمع، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014.
- 13- رينيه بلند، ميكائيل بول: مخاطر الشاشة، ترجمة حسن حتاحت، مكتبة العبيكان، الرياض، 2008